حديث الصورة
رواية ودراية

بقلم الشيخ الدكتور
بندر بن نافع العبدلي
جامعة الإمام بالقصيم
قسم السنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مذهب أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرِّفون الكلم عن مواضعه، متَّبعين في ذلك الكتاب والسنة وما ورد عن سلف الأمة، ثم هم ينكرون على من حرَّف صفات الله أو مثَّل الله بخلقه؛ لأن ذلك تعدٍّ على النصوص وقول على الله بلا علم؛ إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات؛ فكما أنه عز وجل لم يخبرنا عن كيفية ذاته، فكذلك لا نعلم كيفية صفاته، لكننا نثبتها له كما يليق بجلاله وعظمته.

قال نعيم بن حماد الخزاعي: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه».

وقال الإمام مالك ـ لما سئل عن الاستواء كيف هو ـ: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.. ثم قال للسائل: ما أُراك إلا مبتدعاً»، فأمر به فأُخرج.

فقوله رحمه الله: «والسؤال عنه بدعة» أي السؤال عن الكيفية بدعة، لأن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ما سألوا عنها، وهم أتقى لله وأحرص منّا على العلم.

ولكن لا شك أنهم ـ أعني السلف ـ كانوا يفهمون معاني ما أنزل الله على رسوله من الصفات؛ وإلا لم يكن للأمر بتدبُّر القرآن فائدة، وقد نقلت عنهم عبارات تدلُّ على ذلك. فقد أخرج اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٨٧٥) عن الوليد بن مسلم أنه قال: «سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية، فقالوا: أمرُّوها بلا كيف».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الفتوى الحموية» ص (٤١) بعد ذكره عبارات الأئمة في هذا المعنى: «ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه ـ على ما يليق بالله ـ لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، وأيضاً: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت الصفات، وأيضاً: فإن من ينفي الصفات الخبرية، أو الصفات مطلقاً لا يحتاج إلى أن يقول «بلا كيف»، فمن قال: إن الله ليس على العرش، لا يحتاج أن يقول «بلا كيف»، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: «بلا كيف»، وأيضاً: فقولهم: أمرُّوها كما جاءت، يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معانٍ، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمرُّوا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمرُّوا لفظها مع

اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلَّت عليه حقيقة، وحينئذٍ فلا تكون قد أمرَّت كما جاءت، ولا يقال حينئذٍ «بلا كيف»؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول» اهـ.

فتبيَّن من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن سلف الأمة يثبتون لآيات الصفات وأحاديثها معنى من وجهين:

الوجه الأول: من قولهم «أمرُّوها كما جاءت» وهي لم تأتِ عبثاً، بل جاءت لمعنى، فإذا أمرُّوها كما جاءت لزم من ذلك أن يثبت لها معنى.

والوجه الثاني: من قولهم «بلا كيف» لأن نفي الكيفية يدلُّ على إثبات أصل المعنى، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو وعبث.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن صفات الله عَزَّ وَجَلَّ تنقسم إلى صفات ذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متَّصفاً بها، وصفات فعلية وهي المتعلِّقة بالمشيئة. وذكروا أن الصفات الذاتية تنقسم إلى معنوية مثل: الحياة، والعلم، والقدرة وغيرها، وخبرية مثل: اليدين، والوجه، والعينين، وما أشبه ذلك مما مسماه بالنسبة لنا أجزاء وأبعاض. وبسط هذه الصفات وأدلتها من الكتاب والسنة في كتب العقيدة.

وقد وقع في بعض أحاديث الصفات خلاف بين الأئمة في إثبات ما دلَّت عليه لله من عدمه مع أن جمهورهم على إثبات ما دلَّت عليه مع نفي التمثيل والتكييف.

ومن هذه الأحاديث حديث: **«إن الله خلق آدم على صورته»** فقد كثر الكلام حول هذا الحديث، واختُلف في مرجع الضمير في قوله **«صورته»** على من يعود؟ وإني في هذا البحث المختصر أُبيِّن تخريج الحديث وبيان ألفاظه وطرقه، وخلاف الأئمة في تفسيره مع بيان القول الذي اختاره جمهور أئمة أهل السنة، وأسأل الله العون والتوفيق والتسديد، إنه جواد كريم.





وقد جعلت هذا الموضوع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سرد حديث الصورة بطرقه وألفاظه.

المبحث الثاني: كلام الأئمة على الضمير في قوله «**على صورته**» إلى من يعود؟

المبحث الثالث: في إثبات الصورة لله جلَّ جلاله.



المبحث الأول:

سرد حديث الصورة بطرقه وألفاظه

هذا الحديث ورد من عدة طرق:

فقد ورد من طريق عبدالرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة بلفظ: **«خلق الله ﷻ آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلِّم على أولئك النفر** - وهم نفر من الملائكة جلوس - **فاستمع ما يحيُّونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. . .»** الحديث.

أخرجه: عبدالرزاق (١٩٤٣٥)، والبخاري (٣٣٢٦، ٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/٩٣ - ٩٤)، وابن حبان (٦١٦٢)، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص (٤١ - ٤٢)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧١١،٧١٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٣٥،٦٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٩٨).

- ومن طريق: سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة بلفظ: **«إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته».**

أخرجه: الحميدي (١١٢١)، ومسلم (٢٦١٢)، وأحمد (٢/٢٤٤)، وابنه عبدالله في «السنة» (٤٩٦)، وابن حبان (٥٦٠٥)، والآجري في «الشريعة» (٧٢١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٣٨)، وفي «السنن» (٨/٣٢٧). ولفظ مسلم مختصر ليس فيه: **«فإن الله. . .»**.



❑ ومن طريق المثنى بن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن أبي هريرة بلفظ: **«إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»**.

أخرجه: مسلم (١١٥،٢٦١٢)، والطيالسي (٢٦٨١)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٣١)، وأحمد (٩٩٦٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٤/١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٣٧).

ورواية الطيالسي وابن راهويه مقتصرة على الشطر الأول فقط.

وأخرجه أحمد (٩٩٦٢،٨٥٥٦) من طريق همام بن يحيى عن قتادة به.

❑ ومن طريق محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة.

أخرجه: الحميدي (١١٢٠)، وأحمد (٤٣٤،٢٥١/٢)، وابن أبي عاصم (٥٣٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٢/١ - ٨٣)، والآجري في «الشريعة» (٧٢٤)، واللالكائي (٧١٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٣٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٢٠/٢ - ٢٢١) من طريق يحيى بن سعيد القطان، وابن أبي عاصم (٥٣١)، وابن خزيمة (٨١/١) من طريق الليث بن سعد، كلاهما عن ابن عجلان به.

لفظ حديث يحيى: **«إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته»**.

ولفظ الليث: **«لا يقولنَّ أحدكم لأحد قبح الله وجهك، ووجهاً أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته»**.

❑ ومن طريق الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر بلفظ: **«لا تقبحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**.

أخرجه: عبدالله بن أحمد في «السنة» (٤٩٨)، وابن أبي عاصم في

«السنة» (٥٢٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٥/١)، والآجري في «الشريعة» (٧٢٥)، والدارقطني في «الصفات» (٤٥، ٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٤٠) كلهم من طريق جرير عن الأعمش به.

وقد أعلّ ابن خزيمة هذا اللفظ من هذا الطريق بثلاث علل:

● **إحداها**: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده، فأرسله الثوري ولم يقل ـ عن ابن عمر ـ.

قلت: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٦/١) من طريق سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء مرسلاً، لم يذكر فيه ابن عمر.

وفي «المنتخب من العلل للخلال» لابن قدامة ص (٢٦٥) قال المروذي: قلت لأبي عبدالله: كيف تقول في حديث النبي ﷺ: **«خلق آدم على صورته»**؟

قال: الأعمش يقول: عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر: **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**، فأما الثوري فأوقفه ـ يعني حديث ابن عمر ـ.

قلت: وهذا مشكل، اللهم إلا أن يكون مراد الإمام أحمد بالموقوف أي المرسل، يعني أن الراوي وقف به عند عطاء ولم يجاوزه، أو يكون هذا من اختلاف الرواة على الثوري.

● **الثانية**: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

● **الثالثة**: أن حبيب بن أبي ثابت أيضاً مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء.

وقد ذكر الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ هذه العلل في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة».

وزاد علة رابعة، وهي: جرير بن عبدالحميد فإنه وإن كان ثقة، فقد



ذكر الذهبي في ترجمته من «الميزان» أن البيهقي ذكر في «سننه» في ثلاثين حديثاً لجرير بن عبدالحميد قال: «قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ»، ومما يؤيد ذلك أنه رواه مرة عند ابن أبي عاصم (٥٣٠) ـ وكذا اللالكائي برقم (٧١٦) ـ بلفظ **«على صورته»**، ولم يذكر **«الرحمن»**، وهذا الصحيح المحفوظ عن النبي ﷺ من الطرق الصحيحة عن أبي هريرة»[(١)].

قال أخونا الشيخ طارق بن عوض الله في حاشيته على «المنتخب من العلل للخلال»: «وهذه العلة قوية جداً، لأن بهذا يسقط الحديث عن الأعمش أصلاً، ولا يبقى إلا حديث الثوري، وقد عرفت حاله، ومما يؤكد قوة هذه العلة: أن الإمام الدارقطني ذكر هذا الحديث في «الأفراد والغرائب» له، كما في «أطرافه» لابن طاهر (٣١٣٦)، وقال الدارقطني: «تفرد به جرير بن عبدالحميد، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء»[(٢)].

قلت: وقد وقفت على علة خامسة يعلل بها حديث ابن عمر **«على صورة الرحمن»**، وهي الانقطاع في الإسناد، فإن عطاء بن أبي رباح لم يسمع من ابن عمر، نص على ذلك الإمام أحمد وعلي بن المديني، كما في «جامع التحصيل» للعلائي ص (٢٣٧) رقم (٥٢٠).

وفي «المراسيل» لابن أبي حاتم ص (١٢٨) قال أبو عبدالله ـ يعني الإمام أحمد ـ: «عطاء ـ يعني ابن أبي رباح ـ قد رأى ابن عمر ولم يسمع منه».

وقد حاول الشيخ حمود التويجري رحمه الله أن يجيب عن العلل الأربعة في كتابه «عقيدة أهل الإيمان» من عدة أوجه، وفي بعض أجوبته نظر! ومما ذكره من الأوجه: «قال: الوجه الثاني: أن يقال إن الإمام أحمد وإسحاق بن

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١١٧٦).
(٢) المنتخب من العلل للخلال لابن قدامة ص ٢٦٩.

راهويه قد صحَّحا حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي فيه: **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**. . . » إلخ.

ثم أشار إلى ما ذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمة حمدان بن علي الوراق أنه سمع أحمد وسأله رجل عن حديث **«خلق آدم على صورته»** على صورة آدم، فقال أحمد: فأين الذي يروى عن النبي ﷺ: **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**.

ثم قال: وإذا علم أن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه قد صحَّحا حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي جاء فيه: **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»** فلا ينبغي أن يلتفت إلى تضعيف ابن خزيمة له فضلاً عن تضعيف الألباني له تقليداً لابن خزيمة، وذلك لأن أحمد وإسحاق أعلم بالأسانيد والعلل ممن أقدم على تضعيف الحديث بغير مستند صحيح»[1].

قلت: هذا الوجه الذي ذكره الشيخ حمود رحمه الله ليس حجة قوية، أما إسحاق بن راهويه فقد ثبت عنه تصحيح الحديث، كما صرح بذلك حرب الكرماني في كتاب «السنة»، وليس كل إنسان يعتمد على تصحيحه، إذ قد يصحِّحه تبعاً لغيره ولو لم تظهر له علته.

وأما تصحيح الإمام أحمد للحديث فليس على أنه ثابت، وإنما لأجل أن يحتجَّ به على أن الضمير في قوله ﷺ: **«على صورته»** يعود إلى الله عز وجل، على أنه قد تقدم عن الإمام أحمد ما يدلُّ على عدم صحة رواية **«على صورة الرحمن»** فيما حكاه المروذي عنه.

وأما الجواب عما نقله الذهبي في «الميزان» في ترجمة حمدان بن علي الوراق فقد أجاب عنه أخونا الشيخ طارق بن عوض الله في حاشيته على «المنتخب من العلل للخلال» ص (٢٦٧) بجواب نفيس حيث قال:

---

(١) عقيدة أهل الإيمان ص ٢٢ ـ ٣٧.

«ويصعب أن نفهم من كلام أحمد الذي حكاه الذهبي أنه يصحح الحديث المذكور، وإن كان في بعض كلامه ما قد يوهم ذلك، وذلك قوله: «فأين الذي يروى عن النبي ﷺ: **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**؟! حيث قال هذا في معرض الرد على من فسَّر حديث: **«على صورته»** بأن معناه: «على صورة آدم»، فقد يوهم ذلك صحة الحديث عنده، غير أن المتأمل لكلام الإمام أحمد يظهر له بجلاء أن الإمام لا يعتمد على هذا الحديث في نقض هذا التأويل، حتى يصح أن يقال: إنه احتج به واعتمد عليه، فالظاهر للمتأمل غير ذلك، وأن الإمام أحمد إنما يستأنس به فحسب، فالمعروف من عادة العلماء في باب الاستشهاد التسامح في سوق الروايات الضعيفة إذا لم تكن منكرة، وكانت موافقة لظاهر الروايات الصحيحة التي في الباب، فيستأنسون بها لبيان ما يدلّ عليه ظاهر الأحاديث الصحيحة. وصنيعهم هذا لا يدلُّ على اعتمادهم على تلك الروايات الضعيفة، ولا يدلُّ ـ أيضاً ـ على أنهم اعتمدوا عليها في تفسير الحديث الصحيح الذي ربما يكون معناه محتملاً لهذا المعنى الذي تضمنه هذا الحديث الضعيف ولغيره من المعاني... وقد قيل: إن رواية **«على صورة الرحمن»** مما رواه بعض الرواة بالمعنى، فإن صح هذا، فليس في الإسناد إلا إمام من أئمة السنة، فالأخذ بتأويله وبفهمه أولى من الأخذ بتأويل المتأخر» اهـ.

وقد ورد لحديث ابن عمر هذا شواهد:

- منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة وجهه»**.

أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٢٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة.

وإسناده صحيح، إلا أن لفظة **«على صورة وجهه»** غير محفوظة، بل المحفوظ في الطرق الصحيحة **«على صورته»**.

قال الألباني رحمه الله في تعليقه على كتاب «السنة»: «ثم إن سعيد بن أبي عروبة قد خولف في إسناده أيضاً عن قتادة، فقال المثنى بن سعيد عن قتادة، عن أبي أيوب، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: **«على صورته»**. أخرجه مسلم وأحمد وابن خزيمة والبيهقي. وتابعه همام حدثنا قتادة به سنداً ولفظاً، أخرجه مسلم وأحمد. فهذا هو المحفوظ عن قتادة إسناداً ومتناً».

- **ومنها**: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قاتل فليجتنب الوجه، فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن»**.

أخرجه ابن أبي عاصم (٥٣٣) من طريق ابن أبي مريم، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي يونس سليم بن جبير، عن أبي هريرة.

وإسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة، والمحفوظ في الحديث عن أبي هريرة هو **«على صورته»**.

فالخلاصة: أن حديث ابن عمر **«على صورة الرحمن»** لا يصح؛ لأنه معلول بعلل خمس، والمحفوظ في الحديث هو: **«فإن الله خلق آدم على صورته»**.



المبحث الثاني:

كلام الأئمة على الضمير في قوله: «على صورته» إلى من يعود؟

اختُلف في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الضمير يعود على المضروب.

وإلى هذا ذهب ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «التوحيد»، حيث قال: «توهم بعض من لم يتحرَّ العلم أن قوله **«على صورته»** يريد صورة الرحمٰن عزَّ ربنا وجلَّ عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله **«خلق آدم على صورته»** الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب، الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول: ووجه من أشبه وجهك، لأن وجه آدم شبيه وجوه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحاً وجه آدم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلّوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال»اهـ[(١)].

ومثله قال أبو حاتم ابن حبان حيث قال ـ بعد تخريج الحديث ـ:

(١) التوحيد لابن خزيمة (٨٤/١ ـ ٨٥).

«يريد به صورة المضروب، لأن الضارب إذا ضرب وجه أخيه المسلم ضرب وجهاً خلق الله آدم على صورته»[1].

قال ابن حجر: «واختلف في الضمير على من يعود؟ فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها»[2].

وقد ردَّ الأئمة هذا القول وأبطلوه:

قال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» ـ في سرده لأقوال الأئمة في تأويل هذا الحديث ـ، ومنها: «أن المراد أن الله خلق آدم على صورة الوجه، قال: وهذا لا فائدة فيه، والناس يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق آدم على خلق ولده، ووجهه على وجوههم، وزاد قوم في الحديث أنه عليه السلام مرَّ برجل يضرب وجه رجل آخر، فقال: **«لا تضربه، فإن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته»** أي صورة المضروب، وفي هذا القول من الخلل ما في الأول»[3].

قلت: هذه الزيادة التي ذكرها ابن قتيبة في حديث الصورة وهي أن النبي ﷺ مرَّ برجل يضرب وجه رجل آخر، فقال: **«لا تضربه»**. لم أقف عليها، وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: «هذا شيء لا أصل له، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث»[4].

وقال الطبراني في كتاب «السنة»: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: «قال رجل لأبي: إن رجلاً قال: خلق الله آدم على صورته، أي صورة

(١) صحيح ابن حبان ـ كما في الإحسان ـ (١٢/٤٢٠).
(٢) فتح الباري (٥/١٨٣).
(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٣١٩.
(٤) نقض التأسيس ج٣ (مخطوط).





الرجل، فقال: كذب، هذا قول الجهمية، وأي فائدة في هذا»[1].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الشيخ محمد الكرجي الشافعي أنه قال في كتابه «الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاماً لذوي البدع والفضول» ما نصه: «فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر ذلك عن إمام معروف غير مجهول، نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في تأويل الحديث **«خلق آدم على صورته»** فإنه يفسر ذلك بذلك التأويل، ولم يتابعه عليه من قبله من أئمة الحديث، لما رويناه عن أحمد رحمه الله، ولم يتابعه أيضاً من بعد...

ثم قال شيخ الإسلام: قلت: فقد ذكر الحافظ أبو موسى المديني فيما جمعه من مناقب الإمام الملقب بقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التميمي صاحب كتاب «الترغيب والترهيب»، قال: سمعته يقول: أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب. قال أبو موسى: أشار بذلك إلى أنه قلَّ من إمام إلا وله زلة، فإذا ترك ذلك الإمام لأجل زلته، ترك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يفعل»[2].

وقال الذهبي رحمه الله في «السير» - في ترجمة محمد بن إسحاق بن خزيمة -: «وكتابه في التوحيد مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه وتوخِّيه لاتباع الحق - أهدرناه، وبدَّعناه، لقلّ من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنّه وكرمه»[3].

---

(١) ميزان الاعتدال (٦٠٣/١).

(٢) نقض التأسيس ج٣ (مخطوط).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٧٤/١٤).

وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية في «نقض التأسيس» ثلاثة عشر وجهاً لإبطال هذا القول:

- **منها**: أنه في مثل هذا لا يصلح إفراد الضمير، فإن الله خلق آدم على صورة بنيه كلهم فتخصيص واحد لم يتقدم له ذكر بأن الله خلق آدم على صورته في غاية البعد، لا سيما وقوله: **«وإذا قاتل أحدكم.. وإذا ضرب أحدكم»** عام في كلّ مضروب، والله خلق آدم على صورهم جميعهم، فلا معنى لإفراد الضمير، وكذلك قوله: **«لا يقولنّ أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك»** عام في كل مخاطب، والله قد خلقهم كلهم على صورة آدم.

- **ومنها**: أن ذرية آدم خلقوا على صورة آدم، لم يخلق آدم على صورهم، فإن مثل هذا الخطاب إنما يقال فيه: خلق الثاني المتأخر في الوجود على صورة الأول المتقدم وجوده، لا يقال: إنه خلق الأول على صورة الثاني المتأخر في الوجود، كما يقال: خلق الخلق على غير مثال أو نسيج هذا على منوال هذا.

- **ومنها**: أنه إذا أريد مجرد المشابهة لآدم وذريته لم يحتج إلى لفظ: خلق على كذا، فإن هذه العبارة إنما تستعمل فيما فطر على مثال غيره، بل يقال إن وجهه يشبه وجه آدم، أو فإن صورته تشبه صورة آدم.

- **ومنها**: أنه لو كانت علة النهي عن شتم الوجه وتقبيحه أنه يشبه وجه آدم لنهى أيضاً عن الشتم والتقبيح لسائر الأعضاء، لا يقولن أحدكم قطع الله يدك ويد من أشبه يدك.. إلخ ما ذكره(1).

القول الثاني: أن الضمير يعود إلى آدم:

---

(1) نقض التأسيس ج٣ (مخطوط).

وهو مروي عن أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، ذكره القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة» في ترجمة محمد بن علي الجرجاني، المعروف بحمدان أنه قال: «سألت أبا ثور عن قول النبي ﷺ: **«إن الله خلق آدم على صورته»** فقال: على صورة آدم»[1].

ونقله الإمام أحمد عن بعض محدثي البصرة، كما في «نقض التأسيس» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وذكره البيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي سليمان الخطابي وأقرّه[2].

ونسبه ابن قتيبة إلى أهل الكلام، فقال: «فقال قوم من أصحاب الكلام: أراد خلق آدم على صورة آدم لم يزد على ذلك»[3].

وإليه ذهب العراقي في «طرح التثريب»[4].

وقد ردَّ الأئمة هذا القول وأبطلوه وبدَّعوا قائله:

فقد قال الإمام أحمد ـ لما ذكر له قول أبي ثور المتقدم ـ: «من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأيُّ صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟»[5].

وقال ابن قتيبة ـ بعد ذكره لهذا القول ـ: «ولو كان المراد هذا، ما كان في الكلام فائدة، ومن يشكُّ في أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته، والسباع على صورها، والأنعام على صورها»[6].

---

(١) طبقات الحنابلة (٣٠٩/١).
(٢) الأسماء والصفات (٦١/٢ ـ ٦٢).
(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٣١٨.
(٤) طرح التثريب (١٠٤/٨).
(٥) طبقات الحنابلة (٣٠٩/١).
(٦) تأويل مختلف الحديث ص ٣١٨.

وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية لفساد هذا القول تسعة أوجه في كتابه «نقض التأسيس» أذكر منها ثلاثة وهي كافية في إبطاله:

أحدها: أنه إذا قيل: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورة آدم، أو لا تقبحوا الوجه، ولا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورة آدم، كان هذا من أفسد الكلام، فإنه لا يكون بين العلة والحكم مناسبة أصلاً، فإن كون آدم مخلوقاً على صورة آدم، فأيُّ تفسير فسِّر به فليس في ذلك مناسبة للنهي عن ضرب وجوه بنيه، ولا عن تقبيحها وتقبيح ما يشبهها، وإنما دخل التلبيس بهذا التأويل حيث فرق الحديث المروي: **«إذا قاتل أحدكم فليتَّقِ الوجه»** مفرداً، وروي قوله: **«إن الله خلق آدم على صورته»** مفرداً، أما مع أداء الحديث على وجهه فإن عود الضمير إلى آدم يمتنع فيه، وذلك أن خلق آدم على صورة آدم سواء كان فيه تشريف لآدم أو كان فيه إخبار مجرد بالواقع فلا يناسب هذا الحكم.

الوجه الثاني: أن الله خلق سائر أعضاء آدم على صورة آدم، فلو كان مانعاً من ضرب الوجه أو تقبيحه لوجب أن يكون مانعاً من ضرب سائر الوجوه وتقبيح سائر الصور، وهذا معلوم الفساد في العقل والدين، وتعليل الحكم الخاص بالعلة المشتركة من أقبح الكلام، وإضافة ذلك إلى النبي ﷺ لا يصدر إلا عن جهل عظيم أو نفاق شديد، إذ لا خلاف في علمه وحكمته وحسن كلامه وبيانه.

الوجه الثالث: أن هذا تعليل للحكم بما يوجب نفيه، وهذا من أعظم التناقض، وذلك أنهم تأولوا الحديث على أن آدم لم يخلق من نطفة وعلقة ومضغة، وعلى أنه لم يتكوَّن في مدة طويلة







بواسطة العناصر، وبَنوه قد خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وخلقوا في مدة عناصر الأرض، فإن كانت العلة المانعة من ضرب الوجه وتقبيحه كونه خلق على ذلك الوجه، وهذه العلة منتفية في بنيه؛ فينبغي أن يجوز ضرب وجوه بنيه وتقبيحها لانتفاء العلة فيها أن آدم هو الذي خلق على صورته دونهم؛ إذ هم لم يخلقوا كما خلق آدم على صورهم التي هم عليها بل نقلوا من نطفة إلى علقة إلى مضغة. . . إلخ»اهـ[1].

والعجب أن ابن حجر في «الفتح» قال: «وزعم بعضهم أن الضمير يعود على آدم، أي على صفته، أي خلقه موصوفاً بالعلم الذي فضل به الحيوان، وهذا محتمل»[2].

قال الشيخ التويجري رحمه الله: «وما أبعده من الاحتمال وإنما هو قول باطل مردود بالنص على أن الله خلق آدم على صورة الرحمن»[3].

قلت: وهو كما قال، إلا أن حديث **«على صورة الرحمن»** قد تقدم أنه لا يصح.

القول الثالث: أن الضمير يعود على الله جلَّ جلاله.

وقد ذكر الإمام أحمد هذا القول فيما أملاه على بعض أصحابه من أقوال أهل السنة والجماعة. قال القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة» - في ترجمة أبي جعفر محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي -: «نقلت من خط أحمد الشنجي بإسناده قال: سمعت محمد بن عوف يقول: أملى عليَّ أحمد بن حنبل - فذكر جملة من المسائل التي أملاها عليه مما

(١) بيان تلبيس الجهمية ج٣ (مخطوط).
(٢) فتح الباري (١٨٣/٥).
(٣) عقيدة أهل الإيمان ص ١٥.

يعتقده أهل السنة والجماعة، ومنها ـ وأن آدم ﷺ خلق على صورة الرحمن كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ»[1].

وحكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عن جمهور السلف.

وقال ابن حجر: «وقال القرطبي: أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكاً بما ورد في بعض طرقه: «**إن الله خلق آدم على صورة الرحمن**».

قلت: هذا الطريق ضعيف، ولكن لا شك أن هذا هو المراد، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، أن الله ﷻ خلق آدم على صورته، ولا يلزم من ذلك مماثلة الخالق بالمخلوق، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال ابن قتيبة رحمه الله: «والذي عندي ـ والله تعالى أعلم ـ أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأتِ في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد»اهـ[2].

وقد انتصر لهذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «نقض التأسيس».

وقد ذهب بعض أهل السنة إلى أن إضافة الصورة إلى الله من باب التشريف والتكريم، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] وكما يقال في الكعبة «بيت الله» ونحو ذلك[3].

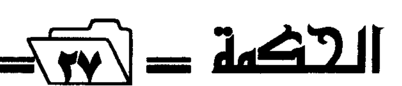
إلا أن إجراء النص على ظاهره مع نفي التمثيل أولى، كما هو مذهب جمهور السلف.

---

(١) طبقات الحنابلة (٣١٣/١).

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٣١٨.

(٣) انظر: طرح التثريب (١٠٥/٨)، وهو أحد الأجوبة التي أجاب بها شيخنا ابن عثيمين عن الحديث. انظر: شرح العقيدة الواسطية (١٠٩/١).



المبحث الثالث:

في إثبات الصورة لله ﷻ

وردت أحاديث عن النبي ﷺ في إثبات الصورة لله ﷻ أكتفي بذكر حديث واحد مشهور، وهو:

عن أبي هريرة ﷺ أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **«هل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟»** قالوا: لا، يا رسول الله! وفيه: **«يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتّبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه...»** الحديث.

أخرجه البخاري (٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

هذا ما أردت بيانه وإيضاحه، والله أسأل أن يرزقنا الاقتداء بنبيّنا ﷺ، وأن يرينا الحقَّ حقاً ويرزقنا اتّباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على محمد وعلى آله أجمعين.